المحاضرة رقم 3 :

فلسفة التاريخ مفاهيم عامة

موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ

د/ سمير العيداني
- أستاذ التاريخ القـ ية بجامعة المسيلة -

1 . الأسطورة و التاريخ :

أ . القصد بالأسطورة :

هي في الأساس حكاية مقدّسة، أبطالها من الآلهة أو من أنصاف الآلهة. وهي نص أدبي جميل كان يُتلى في المعابد أو يُمثّل على المسارح القديمة. وكلمة «أسطورة» ذات أصل آرامي (سرياني) من فعل «سطر» أي كتب، ومنها كلمة «سطّر» بالعربية. أما في الإغريقية فهي (Istoria) وتعني «أخباراً تاريخية»، ومنها جاء مصطلح (History). غير أن للأسطورة بعداً معرفياً أيضاً، هو أنها محاولة لاستكشاف خفايا الكون وغرائبه الكثيرة، وهي، في الوقت نفسه، محاولة لتفسير أسرار الكون المتشابكة. وتنتمي الأسطورة، زمنياً، إلى مرحلة حضارية سبقت نشوء الفلسفة وبدايات العلوم، فكانت تفسَّر بطريقة أولية، وربما بدائية أحياناً، ظواهر الكون والطبيعة، ولا سيما مظاهر التغير في السماء والأرض. فأسطورة «برسيفوني» تفسّر، إلى حد ما، تعاقب الفصول الأربعة. وأسطورة الثالوث المصري «إيزيس وأوزيريس وحورس» حاولت أن تقدم تفسيراً لظاهرة الخصب تبعاً لجريان نهر النيل وفيضانه، أي ثالوث الموت والانبعاث والخلق، أو الخير والشر والانتقام.

فلسفة التاريخ

ب . أي علاقة ؟؟

تنطلق العلاقة بين الأسطورة و التاريخ بوصف الأسطورة هي ابرز مصادر كتابة التاريخ للتاريخ الموغل في القدم ، ولعلها ايضا من ابرز مصادر تفسير التاريخ لدى الإنيان المبكر في الفترات الأقدم، فقد شغلت موقعا بارزا في الحياة الفكرية والروحية لأمم العالم القديم . وكان للأساطير علاقة وثيقة بالتاريخ لما تضمنته من مادة تاريخية أولية ، وتفسير لحوادث التاريخ . ويمكننا القول ان النمط القصصي الذي تميزت به الأسطورة كان الخيط الأول في لحمة التاريخ ، ويعكس طبيعة العلاقة الجدلية التي تربط الأسطورة بالتاريخ ، ويمنح التاريخ أهمية بوصفه عنصر من العناصر المكونة للأسطورة ، وأداة اعتمدتها الأسطورة للإفصاح عن طبيعتها ، ومكوناتها وغاياتها ، وعلى الرغم من ان العلاقة وثيقة بين الأسطورة والتاريخ ، فأنها تبقى ، تعكس ثنائية متلازمة ينطبق عليها تعريف)العلاقة الجدلية(الذي يذهب الى انها علاقة بين ثنائيات متناقضة يستدعي بعضها بعض . فالأسطورة والتاريخ ، بينهما نوع من التعارض ، ولكنه ليس تعارضا مفرقا ، إذ ان هناك مستوى في العلاقة الوسيطة المشتركة بينهما .

السداسي الأول
الموسم الجامعي : 2020 / 2021

الأساطير خلصت الى ان الالهة هي التي تتحكم في طبيعة الحوادث التي تمر بها البشرية عبر تاريخها ، " والأسطورة كانت تتصور انجازات الالهة والكائنات العليا ومشيئتها ، على انها وراء أعمال البشر ، وكانت الأساطير أحيانا تفسر حوادث التاريخ تفسيرا بطوليا، من خلال دورانها حول مؤسس السلالات الحاكمة ، وحول ملوك الماضي السحيق ، وتأثيرهم في توجيه مسار التاريخ من خلال حروبهم وحملاتهم العسكرية وأعمالهم الأخرى ، فكان سرجون الأكدى ، مثلا يصور من خلال تلك الأساطير

وأسطورة الطوفان عند السومريين والبابليين ، كانت تتضمن تفسيرا لنهاية التاريخ ، من خلال تفسير التاريخ البشري ، والحديث عن نهايته التي أدت إليها تصميم الالهة ومن ثم هلاك الجنس البشري" . وبهذا فقد كانت الأسطورة في حضارات الشرق القديم ، تمثل العلم البدائي أو التاريخ الأولي.

وهكذا فأن الأسطورة **تتميز على التاريخ** ، من خلال زمنها غير المحدد، اذ هي تفسير الماضي والحاضر والمستقبل ، في حين قد يقتصر التاريخ على حوادث حصلت في زمن غابر بعيد ، مما يمنح الأسطورة، كما هو واضح ، شمولا وأصالة . فالأسطورة تهدف الى الكشف عن الثوابت ، ولا تسعى بشكل أساسي للتعرف على تتابع الحوادث، مما جعلها تستمر في حياتها حتى انبثاق السرد التاريخي ، و تتعايش مع التاريخ ، في كثير من الأحيان ، من دون ان تتجاوز خصوصيته ، لان لكل منهما هدف خاص به ، وان تحديد الأهداف هذه جعل لكل منهما مرتكزاته التي ينطلق منها ، على الرغم من الأخذ في نظر الاعتبار ، إننا لا نهمل أبدا ان الأسطورة هي المصدر الأول لكتابة التاريخ ، فعندما شرع المؤرخ ليكتب تاريخا ، كان بحاجة الى مادته الأولى التي يستقي منها الأخبار عن العصور السالفة .

2 . مفهوم فلسفة التاريخ :

تعني دراسة التاريخ دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات وكل رواية غير مقبولة لدى العقل أو محتملة الشك ، إن فلسفة التاريخ لا تعني أن تكون دراسة التاريخ أكواما مترامية من المعارك الحربية أو المعاهدات السياسية دون معنى مفهوم أو حكمة بادية وتهدف إلى تنقيح التاريخ بما يمكن تسميته بالتاريخ النقدي وصولا إلى تعديل طبيعة الدراسة التاريخية من التاريخ السياسي والعسكري إلى فلسفة الحضارة ومهمة التاريخ النقدي أن يحرر الفكر الإنساني من العبودية والخرافة من اجل نشر الحرية وتنوير والعقل ومهمة فلسفة الحضارة أن تتسع دراسة التاريخ لما هو أهم من أخبار المعارك وسير الملوك وأحداث البلاد وهذه فلسفة التاريخ من وجهة نظر فولتير.

وإجمالاً تعني فلسفة التاريخ **الكشف عن قوانين عامة تنظم سياق الحوادث التي يتبعها التاريخ** .

3 . الفلسفة و التاريخ :

تأتي **العلاقة بين مفهومي "الفلسفة" و"التاريخ"** في أن الفلسفة تبحث في التاريخ من حيث أحداثه والمتحكمين في سيره، مع محاولة اكتشاف القوانين الموجهة لحركة المجتمعات والدول والنهضات وأسباب صعودها وهبوطها، أي تهتم بتفسير التاريخ وفهم مجرى التاريخ في ضوء نظرية فلسفية معينة، وهذا ما يصطلح عليه بفلسفة التاريخ التي نحن بصدد دراسة بعض نظريتها .

و يمكن تتبع ذلك في النقاط الآتية :

يمكن تلخيص ذلك عبر النقاط الآتية :

* ـ تعالج الفلسفة بعض القصور في التاريخ كالإغراق في الأحداث والإسراف في الارتباط بالماضي، فتربط فلسفة التاريخ الإنسان بالحاضر ولا تدعه يغوص في الماضي.

* ـ تعالج الفلسفة عيباً في بعض المؤرخين يتمثل في الإغراق في أحداث تاريخية لا حصر لها، فتحول الفلسفة هذه الأحداث إلى نسيج مترابط دون الدخول في تفصيلات.

* ـ أيضاً تعالج قصوراً في الفلسفة يعاني منه الفلاسفة، وهو قلق يرجع إلى رغبة في الوصول إلى الحقيقة التي يلتمسوها من واقعية التاريخ.

* ـ تلبي للإنسان حاجة ضرورية، فهو كلما قلق في حاضره على مستقبله لجأ إلى الماضي، أي محاولة تفسير الماضي أو التاريخ. وذلك مثلما فعل أوغسطين بوضع نظرية العناية الإلهية.

و اختصاراً فإنّ كلاً من الفلسفة والتاريخ يعالج قصوراً في الآخر؛ فالتاريخ يشد الفلسفة حتى لا تحلق بعيداً عن الواقع، بينما ترتفع الفلسفة بالتاريخ حتى لا يغوص في الماضي بإسراف. كما أن التاريخ يلتمس الحكمة من الفلسفة بينما تلتمس الفلسفة منه الواقعية.

4 ـ أسباب نشوء فلسفة التاريخ:

- ـ تسعى لفهم التاريخ ودراسته على وفق مناهج البحث العلمي وقد ظهرت ابعادها الواضحة منذ القرن الثامن عشر الميلادي.
- ـ تبحث في الوقائع التاريخية بنظره فلسفية وتسعى لاكتشاف العوامل الأساسية التي تؤثر في سير الوقائع التاريخية.
- ـ تعمل على استنباط القوانين العامة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون والاجيال

5 ـ ميزات (سمات) فلسفة التاريخ عن التاريخ :

أ ـ الكلية : التي ترفض النظر إلى حوادث التاريخ وكأنها تراكمات فوضوية تحركها الصدفة العمياء لذلك فالفيلسوف يطلب (الوحدة/ الجدلية) و(العضوية) التي تربط تلك "الاجزاء التاريخية التي تبدو للبعض وكأنها مفككة (متباعد لا يحكمها منطق واحد) مع انها تشكل في حقيقتها (التاريخ العلمي) الذي اصبح مادة للفيلسوف دون أن تقتصر فلسفة التاريخ على زمن او مرحلة او اقليم. وبذلك تكون الكلية نقيضا (للجزئية والفردية) او التشتت التاريخي.

ب ـ **العلية أو السببية :** يسعى الفيلسوف (فيلسوف التاريخ) الى اختزال الأسباب الكثيرة والجزئية للحوادث الفردية المحكومة بزمان ومكان محدد بعلة واحدة شاملة او علتين ليفسر على ضوئها التاريخ العالمي من خلال اعادة تشكيل وقائع التاريخ ليقدم منها صورة عقلية.

جـ ـ النظرة المستقبلية : أن منطق التاريخ وفلسفته تخالفان التاريخ في تطلعها الدائم إلى المستقبل لكي لا تجعل الانسان يعيش تحت ركام الماضي، باعتبار أن المستقبل هنا يرتبط بالماضي عن طريق "الحاضر" وبذلك عوضت لنا قصور كل من (التاريخ) و(الفلسفة) في الوصول إلى الحقيقة الموضوعية من غير منطق سليم وصحيح .

د ـ التفاؤلية : ويتعزز المنطق الفلسفي للتاريخ بتفاؤلية، الناشئة عن (ثقته بالوعي الانساني) وسعيه لتحول (العقلانية) في الفكر إلى (عقلنه) في الحياة، حين تستكمل شروط تطبيق البرامج التي املتها الرؤية التنويرية للإنسان وهو يفتش عن (ملاذ امن) للإنسانية، بعيدا عن مخاطر خلل طبقة الاوزون او تخريب البيئة او الاساءة للمناخ الطبيعي لأغراض عنصرية او عسكرية خطيرة .

6 ـ النزعة التاريخانية Historicalism

كانت التاريخانية واحدة من أقوى الحركات الفكرية في ألمانيا القرن التاسع عشر، و هي تلك النظرية التي تقول بوجود خُطة للتاريخ « سواء أكانت إيمانية أم إلحادية» تقدمية متطورة أم تراجعية نحو مركز تاريخي سابق. لا تعتبر النزعة التاريخانية بهذا المعنى رؤية جديدة للمسار التاريخي، بل هي متجذرة في عمق الأدبيات المختلفة : الدينية، التاريخية والأدبية...الخ. غير ان هذه النزعة تتسم بطابعها الإيماني العميق، ذلك ان هذه الخُطة «لا يمكن إدراكها إلا بصورة مبهمة، لأنها ناتجة عن مشيئة الرب، أو الأرباب» تتوافق هذه الرؤية بشكلٍ كبير مع «بنية الفكر الأوروبي بأسره، والتي هي أساساً بنية لاهوتية في أصولها» (م س)، وهو ما نجده واضحاً في «منهج الوحدة والاستمرارية «هذا المنهج الذي تم تطويره في بداية القرن الثامن عشر، على يد كل من فيكو (1668م-1744م)، وكوندورسيه (1743م-1794م)، فهو يقوم على فكرة مؤداها ان التاريخ «خاضع لقوانين قارة تسير به في اتجاه مرسوم نحو غاية محققة»

تجلت التاريخانية بهذا المعنى، أو المبدأ الغائي للتاريخ، بشكل خاص لدى الفلاسفة الألمان البارزين: كانط (1724م-1804)، هيجل (1770م- 1831م)، ماركس (1818م – 1883م). بحيث يرى كانط « ***أن حرية الإرادة التي يشعر بها الإنسان، إنما تتحدد وفقاً لقوانين طبيعية عامة، شأنها في ذلك شأن أية ظاهرة أخرى من الظواهر الطبيعية*** »، وهو بهذا المعنى «***يُلحّ على ضرورة البحث عن الغاية الطبيعية الموجهة للتاريخ***». فالتاريخ حسب كانط ينبغي ان يتم إخضاعه لقوانين كما أخضع نيوتن العالم الطبيعي لقوانين تستطيع التنبؤ بالأحداث الطبيعية المستقبلية.

و هنا نجد ان العلوم الإنسانية والاجتماعية تحاول أن تسلك مسلك العلوم الطبيعية: الفيزياء، الكيمياء وغيرها، من حيث ضرورة إخضاع الفعاليات البشرية بشكل عام لقوانين تشابه في دقتها، تلك القوانين التي يخضع لها العالم الطبيعي.، و يذكر أنّ هذه الأفكار شاعت في أوربا الغربية أين انتشرت العلموية التي تسربت إلى الفلاسفة اللاحقين: هيجل، وماركس وغيرهما، الأمر الذي أدى بهيجل إلى أن يستمد «مفهومه للتاريخ من المماثلة الكاملة بين التاريخي والمنطقي» (أو بين البشري والعلمي، وهو ما جعله يتجه إلى منطق التاريخ أكثر مما يتجه إلى مضمونه، وبذلك أخضع التاريخ إلى المنطق، بدل ان يحرر المنطق.

واعتبرت "التاريخانية" مضادة للـ"طبيعانية" : فبينما تحاول الطبيعانية تفسير كل ما في الواقع، بما في ذلك التاريخ بحسب قوانين طبيعية، التاريخانية تحاول تفسير كل ما في الواقع بما في ذلك الطبيعة باستخدام قوانين تاريخية .

و اختصاراً : تركز التاريخانية على أهمية التاريخ لفهم الحياة الإنسانية والأحداث، ولأنهما يدعيان أن مناهج ومعايير التاريخ يجب أن تكون متميزة عن تلك الخاصة بالعلوم الطبيعية .

7 ـ أهمية فلسفة التاريخ بالنسبة لعلم التاريخ و الإنسانية .

أ ـ بالنسبة لعلم التاريخ :

ترجع أهميتها في أنها تعوّض عن ذلك القصور في الكتابة التاريخية و التي ترجع إلي عيوب في طبيعة الدراسة :

- ـ فالتاريخ يتحدث عن وقائع وحوادث لا حصر لها تشد الباحث إلي الماضي حتي لتجعله غريباً عن الحاضر كما أن التاريخ يجعل من الإنسان كائناً يعيش تحت رحمة الماضي.. وبالتالي ففلسفة التاريخ تعوض في التاريخ كل أوجه القصور فهي تجعل لوقائعه المتراكمة المتتالية معني ومغزي كما أنّه تجعل الفرد محصناً ضد ما أسماه نيتشه **داء التاريخ** أي آفة العقل حين يغريه الماضي بالولاء له.

- ـ وفلسفة التاريخ لا تعوض قصور التاريخ فقط بل إنها تعوض قصور الفلسفة أيضاً .. إذ تعاني الفلسفة من قلق دائم مصدره طلب الفيلسوف المتواصل نحو الحقيقة ولكنه يخشي أن يضل السبيل في عالم الميتافيزيقيا .. لذلك فإن فيلسوف التاريخ يتلمس مادته من وقائع التاريخ فالتاريخ يشد الفلسفة حتي لا تحلق بعيداً في غير عالمنا . وترتفع الفلسفة بالتاريخ حتي لا يغوص في وحل الماضي وركامه.
- ـ يلتمس التاريخ من الفلسفة الحكمة والمغزي وتلتمس الفلسفة في التاريخ الواقعية و بالتالي فكلاهما يكمل في الآخر قصوراً .

د/ سمير العيداني
أستاذ التاريخ القديم كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة المسيلة ـ
محاضرات في مقياس

ب ـ و بالنسبة للإنسان :

نشأت فلسفة التاريخ لتلبية احتياجات فكرية لدى لإنسان . ويشمل الأمر بخاصة عهود نكبات الأمم في التاريخ البشري ، ولذلك كانت الأزمات دائماً حافزاً إلي التفكير في الماضي وفي المصير و في محاولة تعليلي النكبات ، و مثال ذلك سعي العلامة ابن خلدون لدراسة علة تدهور الحضارة الإسلامية مما أفاد في صياغة رؤية فلسفية في التاريخ فلسفة التاريخ كما يظهر ذلك في الرؤية الهيجلية ، بالتزامن مع دخول الفرنسيين للأراضي الألمانية ، أين لخص كل ذلك في عبارته الشهيرة عبارته الشهيرة : **إن بومة منيرفا لا تحلق إلا عند الغسق** . (بومة منيرفا رمز الحكمة) – أي أن أحكم الأقوال لا تصدر إلا في أحلك الأوقات فكانت نظريته في التاريخ .. ففي أعصب الفترات يطلعنا التاريخ علي إمكانية أن تصدر أسمي الفلسفات وليس التاريخ العادي ما يعني بذلك وإنما يعني بذلك فلسفة التاريخ.

8 ـ بين المؤرخ و فيلسوف التاريخ :

المؤرخ	فيلسوف التاريخ
✓ يتقصى أحوال الظاهرة الإنسانية موضوع الحوادث التاريخية ، ويحاول أن يصل الى تفسير هذا الحدث سواء كان جزئية بسيطة أو مركباً ، ✓ يستعمل عدة خطوات في عمله منها جمع المادة التاريخية ، وتمحيص الوثائق ، ثم مرحلة التأويل وصولا الى اكتشاف علة الحدث وتفسيره , ✓ نقطة البدء للمؤرخ هي الحدث الجزئي ✓ يعتمد المؤرخ في دراسته المنهج الاستقرائي في الغالب ✓ هدف المؤرخ هو تسجيل الحدث و التحقق من صحة تسجيله بأكبر قدر من الموضوعية و النزاهة	✓ لا يتوقف فيلسوف التاريخ عند هذه الأحداث التاريخية الجزئية ، بل يهتم أكثر بمحاولة فهم مسار الأحداث التاريخية الإنسانية ككل محاولاً الوصول الى علتها الكلية الشاملة . ✓ نقطة البدء لفيلسوف التاريخ هي فهم المسار الشامل للأحداث ✓ يعتمد فيلسوف التاريخ على المنهج العقلي ✓ هدف فيلسوف التاريخ هو تفسير مجمل أحداث التاريخ و استخراج ما يعرف بالقوانين و القواعد العامة التي يسير بمقتضاها التاريخ الإنساني ـ ولذلك تتعدد لدى فلاسفة التاريخ هذه القواعد التي تحكم التاريخ حسب رؤيتهم الفلسفية و المدارس التي ينتمون إليها

جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة
الموسم الجامعي : 2021/ 2020